قصة مقاطعة

الإمام أحمد بن حنبل لولديه

صالح وعبد الله وعمه بسبب قبولهم لصلة السلطان

طلال بن جميل بن محمد الحبيشي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قصة

مقاطعة الإمام أحمد بن حنبل لولديه صالح وعبد الله وعمه بسبب قبولهم لصلة السلطان

إعداد

طلال بن جميل بن محمد الحبيشي

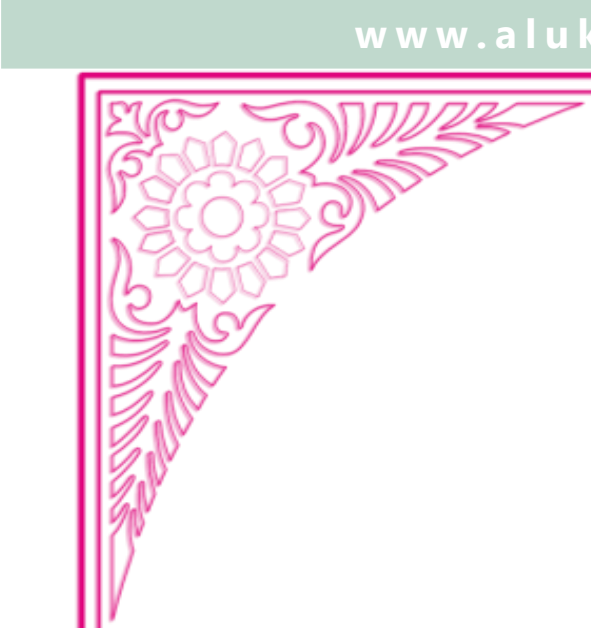

(النشرة الأولى: ١٤٤٦)

للتواصل والإفادة:

+٩٦٧ / ٧٧٧٣٨٨٩٢٧

إيميل:

Talal1999777388927@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيِّئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عبدُهُ ورسولُهُ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب].

أما بعد:

فبين يدي القارئ الكريمِ قِصَّةٌ تُحرِّكُ القلوبَ لمراجعة صلتها بعلام الغيوب ﷻ، قصة تدعو تلك القلوب الشاردة عن الله إلىٰ الرجوع إليه، والإقبال عليه، وتركِ كلِّ محبوبٍ ومرغوبٍ سواه.

إنها تجسيدٌ لعبادةٍ عظيمةٍ وُجِدت في عصر سلفنا الصَّالح، كان يطلق عليها: الورع!

ورعٌ، وأيُّ ورع؟!

إنَّه ورع أحمد!

ومَن مِثلُ أحمد؟!

لقد ترك أحمدُ كثيرًا من الحلال؛ خشية أن يقع في الحرام!

ولهذا ننعىٰ في زماننا الوَرَع، وإن ذُكرَ اليومَ فغايته تركُ المُحَرَّم إن تمَّ، ومَن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يقدرُ عليه، فاللهمَّ لطفًا!

هذه القِصَّةُ حفظها لنا صالح بن الإمام أحمد ﷺ، ودونها في «سيرة أبيه»، وذكرها الحافظ ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد»، وزاد علىٰ ما ذكره صالح من غير طريقه، فعمدت إلىٰ ما ذكره صالح في «السيرة» فجعلته أصلًا للقِصَّة، وما زاده ابن الجوزي ذكرتُهُ معزوًّا إليه أثناء القصة، وإن كان اختلافٌ بين «السِّيرة» و«المناقب» أشرت إليه في الحاشية، وقد زدتُّ بعض الروايات من غير «السيرة» و«المناقب» عند الحاجة إلىٰ ذلك.

نسألُ اللهَ أن يهدينا سواء السَّبيل، والحمد لله وحده، والصَّلَاة والسَّلَام علىٰ من لا نبيَّ بعده.

وكتب
طــلال بن جميـل بن محمد الحبيشي
١٩ رمضان ١٤٤٦
+٩٦٧ /٧٧٧٣٨٨٩٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نص القصة

قال أبو الفضل صالح بن الإمام أحمد بن حنبل ﷺ عن والده الإمام ﷺ:

قدم علينا فيما بين الظُّهْر والعَصْر، فلمَّا انحدر إلىٰ بغداد ومكث قليلًا(١).

قال لي: يا صالح!

قلتُ: لبيك.

قال: أحبُّ أن تَدَعَ هذا الرِّزقَ، فلا تأخذهُ، ولا تُوكِّل فيه أحدًا، فقد علمتُ أنكم إنَّما تأخذونه بسببي.

[قال صالح:] فسكتُّ.

فقال: مالَك؟

فقلت: أكره أن أعطيك شيئًا بلساني، وأخالف إلىٰ غيره، فأكون قد كَذَبتُك، وليس في القوم أكثر عيالًا مِنِّي، ولا أعذر، وقد كنت أشكو إليك فتقول: أمرك منعقدٌ بأمري، ولعلَّ اللهَ أن يَحُلَّ هذه العُقْدة.

ثم قلتُ له: وقد كنتَ تدعو لي فأرجو أن يكون اللهُ قد استجابَ لك!

قال: ولا تفعل!

قلت: لا.

قال: قُم، فَعَلَ اللهُ بكَ وفَعَلَ، فَأَمَرَ بسدِّ الباب بيني وبينه.

فتلقاني عبدُ الله فسألني فأخبرته، **فقال:** ما أقول؟!

قلت: ذاك إليك.

---

(١) في «المناقب» (٥١٣) لابن الجوزي: «لما قدم أبي من عند المتوكل مكث قليلًا...».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال له مثل ما قال لي.

فقال: لا أفعلُ.

فكان منه إليه نحوُ ما كان منه إليَّ، فلقينا عَمُّه، **فقال:** لو أردتم أن تقولوا له، وما عِلْمُهُ إذا أخذتم شيئًا!

فدخل عليه، **فقال:** يا أبا عبد الله، لستُ آخذُ شيئًا مِن هذا!

فقال: الحمد لله.

[قال صالح:] وهَجَرَنا، وسدَّ الأبواب بيننا وبينه، وتحامىٰ منزلنا أن يدخل منه إلىٰ منزله شيء.

قال أبو الفضل: فلمَّا مضىٰ نحوٌ من شهرين كُتبَ لنا بشيءٍ فجيء به إلينا، فأول مَن جاء عمُّه فأخذ، فأُخبِر [يعني: أحمد]، فجاء إلىٰ الباب الذي كان سَدَّه بيني وبينه، وقد كان فتح الصِّبيان كُوَّة.

فقال: ادعوا لي صالحًا.

فجاء الرَّسولُ، وقلت له: [لست][(١)] أجيء.

فوجَّهَ إليَّ: لمَ لا تجيء؟!

فقلت: قل له: هذا الرِّزقُ يرتزقه جماعةٌ كثيرة، وإنَّما أنا واحدٌ منهم، وليس فيهم أعذر مني، وإذا كان توبيخٌ خُصِصت به أنا.

فمضىٰ، فلمَّا نادىٰ عَمُّه بالأذان خَرَجَ، فلمَّا خرج قيل لي: إنَّه قد خرج إلىٰ المسجد، فجئتُ حتَّىٰ صِرت في موضعٍ أسمع فيه كلامَهُ، فلمَّا فرغ من الصَّلاة

---

(١) إضافة مهمة من «المناقب» لابن الجوزي (٥١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التفت إلىٰ عَمِّه، **ثمَّ قال له:** نافقتني وكذبتني، وكان غيرُكَ أعذرَ منك؛ زَعمتَ أنَّك لا تأخذُ من هذا شيئًا، ثمَّ أخذته، وأنت تستغلُّ مائتي درهم، وعمدتَّ إلىٰ طريق المسلمين تستغله!، إنَّما أنا أشفقُ عليك أن تُطوَّق يوم القيامة بسبعِ أَرَضِين، أخذتَ هذا الشَّيءَ بغير حَقِّه!

فقال: قد تصدَّقتُ.

قال: تَصَدَّقْتَ بنصفِ درهم!

ثمَّ هَجَرَه وترك الصلاة في المسجد، وخرج إلىٰ مسجدٍ خارجٍ يُصَلِّي فيه(١).

وفي «المناقب» (ص: ٥١٤) عن أبي جعفر بن ريح العكبري، قال: «طلبت أحمد بن حنبل في سنة **ست وثلاثين ومئتين** لأسأله عن مسألة، فسألت عنه فقالوا: إنه خرج يصلي خارجًا، فجلست له علىٰ باب الدرب حتىٰ جاء، فقمت فسلمت عليه، فرد علي السلام، فدخل الزقاق وأنا أماشيه، فلما بلغنا آخر الدرب، إذا باب يفرج، فدفعه وصار خلفه، وقال: اذهب عافاك الله، فالتفت فإذا مسجد علىٰ الباب وشيخ مخضوب قائم يصلي بالناس، فجلست حتىٰ سلم الإمام، فخرج رجل، فقلت: هذا الشيخ من هو؟ قال: إسحاق عم أحمد بن حنبل، قلت: فلمَ له لا يصلي خلفه؟ فقال: ليس يكلم ذا ولا ابنيه؛ لأنهم أخذوا جائزة السلطان».

قال صالح: وحدَّثني أبي، **قال:** حَدَّثنا عبد الله بن مُحَمَّد، **قال:** سمعت شيخنا يُحدِّث، **قال:** استعمل بعضُ أمراء البصرة عبد الله بن مُحَمَّد بن واسع

---

(١) «سيرة الإمام أحمد بن حنبل» (١١١-١١٢)، لولده صالح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علىٰ الشُّرطة، فأتاه مُحَمَّد بن واسع، فقيل للأمير: مُحَمَّدٌ بالباب.

فقال المقوم: ظُنُّوا به.

فقال بعضهم: جاء يَشكرُ للأمير، استعمل ابنه.

فقال: لا؛ ولكنَّه جاء يطلب لابنه الإعفاء، أو قال: العافية.

قال: فأذن له، فلمَّا دخل قال: أيها الأمير، بلغني أنَّك استعملت ابني، وإني أحبُّ أن تسترنا يسترك الله.

قال: قد أعفيناه يا أبا عبد الله.

قال أبو الفضل: ثمَّ كُتبَ لنا بشيءٍ فبلغه فجاء إلىٰ الكُوَّةِ التي في الباب،

فقال: يا صالح؛ انظر ما كان للحسن [وأم][(١)] علي فاذهب به إلىٰ فوران، حتَّىٰ يتصدَّق به في الموضع الذي أُخذَ منه.

فقلت: وما عِلمُ فوران، مِن أي موضع أُخِذَ هذا؟!

فقال: افعَل ما أقول لك.

فوجهت بما كان أصابهما إلىٰ فوران، وكان إذا بلغه أنَّا قبضنا شيئًا **طَوَىٰ تلك الليلةَ فلم يفطر**، ثمَّ مكث أشهرًا[(٢)] لا أدخلُ إليه، ثمَّ فتح الصِّبيان البابَ، ودخلوا غير أنَّه لا يدخل إليه من منزلي شيءٌ!

ثمَّ وجهت إليه: يا أبتِ، قد طال هذا الأمرُ، **وقد اشتقت إليك!**

---

(١) زيادة من (المناقب).

(٢) في (المناقب): «شهرًا»، وفي «طبقات الحنابلة» (١/ ١٠): «فهجرهم شهرًا لأخذ العطاء».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَسَكَتَ، فدخلتُ فأكببت عليه، وقلت له: يا أبتِ، تُدخِلُ علىٰ نفسك هذا الغَم؟!

فقال: يا بني، **يأتيني ما لا أملكه!**

ثمَّ مكثنا مُدَّة، لم نأخذ شيئًا، ثمَّ كُتبَ لنا بشيءٍ، فقبضناها، فلمَّا بلغه هجرنا أشهرًا، فكَلَّمه فُوران، وَوَجَّه إليَّ فُوران، فدخلتُ، فقال له: يا أبا عبد الله، صالحٌ، يرضيك الله(١).

فقال: يا أبا مُحَمَّد، والله لقد كان أعزَّ الخلقِ عليَّ، وأيُّ شيءٍ أردتُّ له؟!

ما أردتُّ له إلا ما أردتُّ لنفسي.

فقلت له: يا أبتِ، ومَن رأيتَ أنتَ أو من لقيتَ قَوِيَ علىٰ ما قويت أنت عليه؟!

قال: وتحتجُّ عليَّ!

قال أبو الفضل: ثمَّ كتب أبي ﷺ إلىٰ يحيىٰ بن خَاقان يسأله ويعزم عليه أن لا يعيننا علىٰ شيءٍ من أرزاقنا، ولا يتكلَّم فيه(٢).

فبلغني، فوجهتُ إلىٰ القيم لنا، وهو ابن غالب بن بنت معاوية بن عمرو، وقد كنت قلت له: يا أبتِ، إنه يكبر عليك، وقد عزمت إذا حدث أمرٌ أخبرتك به، فلما وصل رسولُهُ بالكتاب إلىٰ يحيىٰ أخذه من صاحب الخبر.

قال: فأُخِذَتْ نسختُهُ، وَوَصَلَتْ إلىٰ المتوكل.

---

(١) في (المناقب): «صالح، وحبُّك له».

(٢) في (المناقب): «فيها».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال [المتوكل] لعبد الله(١)**:** كم من شهرٍ لولد أحمد بن حنبل؟!

فقال: عشرة أشهر.

قال: تُحمل السَّاعةَ إليهم أربعون ألف درهم من بيت المال صحاحًا، ولا يُعلَمُ بها!

فقال يحيى للقيم: أنا اكتب إلىٰ صالح وأعلمه، فورد عليَّ كتابُهُ، فوجهتُ إلىٰ أبي أُعْلِمُهُ.

فقال الذي أخبره: إنه سكت قليلًا، وضرب بذقنه ساعة، ثم رفع رأسه،

فقال: ما حيلتي إذا أردتُّ أمرًا وأراد الله أمرًا.

قال أبو الفضل صالح: وكان رسولُ المتوكل يأتي أبي يبلغه السَّلَام ويسأله عن حاله، فنسرُّ نحن بذلك، فتأخذه نفضةٌ حَتَّىٰ ندثره.

ويقول: والله لو أنَّ نفسي في يدي لأرسلتها.

ويضمُّ أصابعه ويفتحها(٢).

وأخرج ابن الجوزي في «المناقب» (ص: ٥١٧) بسنده عن محمد بن إبراهيم البوشنجي، يقول: حُكيَ لنا عن المتوكل، أنه قال: إنَّ أحمد ليمنعنا من برِّ ولده. وذلك: أنَّه كان وَجَّه إلىٰ ولده وإلىٰ ولد ولده وإلىٰ عَمِّه بمالٍ عظيم، فأخذوه دون علمِ أحمد، فلمَّا بلغه ذلك، أنكر عليهم وتقدَّم إليهم بردِّه، وقال لهم: لمَ تأخذوه **والثغور معطلةٌ غير مشحونة، والفيءُ غير مقسومٍ بين أهله؟** فاعتلوا

---

(١) في (المناقب): «لعبيد الله».

(٢) «السيرة» (١١٣-١١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بخروج ذلك المال من أيديهم في ديونهم وما كان عليهم، ثمَّ وَجَّه المتوكلُ مالًا آخر، وقال: ليعطَ ولدُه من غير علم أحمد، فأخذوه، فبلغ ذلك أحمدَ فجمعهم، وقال لهم: احتججتم في المال الأول بذهابه عنكم وبديونكم، فردوه.

فأنا شهدتُّ وقد سدَّ بابًا كان بينه وبين صالحٍ ابنه، وترك مسجدَهُ ومؤذنُهُ عَمُّه وإمامُه ابن عمير، ودارُهُ لزيقةُ المسجد، وهجرهم مِن أجل ذلك المال، وأنا رأيته يخرج مِن زقاقه ومِن دربه إلىٰ الشارع، ويدخل دربًا آخر فيه مسجد، يقال له: مسجد سدرة، يُصَلِّي فيه الجماعة، ثمَّ لما شخص إلىٰ العسكر والمؤيد، وهم ولاة العهود، فجعل يتمارض، وإذا سئل قال: لا أحفظ، وكتبي عني غائبة، حتىٰ أعفي، ووَقَّع المتوكل في بعض ما وَقَّع: أعفينا أحمد مما يكره.

ولقد جاءته تحفةُ رطب من قبل المتوكل مختومة فما طعم منها، وبلغني أنه احتج في ذلك اليوم، فقال: إن أمير المؤمنين قد أعفاني مما أكره، فإذا جاءه شيء، قال: هذا مما أكره، فيعفىٰ، فكانت هذه حاله.

قلت: وبلغ من تورعه ﷺ عن أخذ المال الذي كان يأخذه ولداه من الخليفة ما حكاه محمد بن علي السمسار: سمعت أبا عبد الله يقول لإسحاق بن إبراهيم النيسابوري: خذ من أم علي -يعني: ابنة أبي عبد الله- ما تعطيك، فدخل وخرج ومعه دجاجة، فخرجنا جميعا، فقلت لإسحاق: ما قالت لك؟ قال: قالت: أبي يريد أن يحتجم وليس معه شيء، فقال لي: أعط إسحاق الدجاجة يبيعها فإني محتاج إلىٰ الحجامة، فصرنا بها إلىٰ السوق فأعطي بها درهمًا ودانقين فلم يبعها وردها، فلما صرنا إلىٰ القنطرة فإذا عبد الله جالس في دكان ابن بختان، فدعا إسحاق، وقال: أي شيء هذه؟ لمن هذه؟ فقلت: أعطتني أمُّ عليٍّ أبيعها.

فقال: كم أعطيت بها؟ قال: درهمًا ودانقين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال: بعنيها بدرهم ونصف. فأعطاه درهمًا ونصفًا، وأخذها منه، فلما صار علىٰ أبي عبد الله قالت أم علي: بكم بعتها؟ قال: بدرهم ونصف، فقالت: بس!، فقال لها: أعطوني في السوق درهمًا ودانقين.

فقال أبو عبد الله: يا إسحاق ممَّن بعتها؟

قلت له: من عبد الله.

فأخذ الثمن من أم علي وصاح عليَّ، وقال: مُر، رُدَّها، فخرج إسحاق يعدو حتىٰ جاء إلىٰ عبد الله، فقال له: ردها، فقد صاح علي أبوك.

قال: ولمَ قلت له؟ فردها.

قال إسحاق: فقال لي أبو عبد الله: مُرَّ بها إلىٰ السوق ولا تمر علىٰ عبد الله، فبعتها من غريب بدرهم وثلث، ثم جئت إلىٰ أبي عبد الله فقال: لعلك دفعتها إلىٰ عبد الله؟ قلت: لا، بعتها من رجل غريب(١).

وقال محمد بن علي السمسار أيضًا: كانت لأم عبد الله بن أحمد دارٌ معنا في الدرب يأخذ منها درهمًا بحق ميراثه، فاحتاجت إلىٰ نفقة، فأصلحها عبد الله، فترك أبو عبد الله الدرهم الذي كان يأخذه، وقال: قد أفسده علي(٢).

قال ابن أبي يعلىٰ رحمه الله: إنما تورع من أخذ حَقِّه من الأجرة، خشية أن يكون ابنه أنفق علىٰ الدار مما يصل إليه من مال الخليفة(٣).

---

(١) أخرجه الخلال كما في «المناقب» (٣٥٢).

(٢) أخرجه الخلال كما في «المناقب» (٣٥٢-٣٥٣).

(٣) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (١/ ١٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال أحمد بن محمد التستري: أتىٰ علىٰ أحمد ثلاثةُ أيام ما طعم فيها بطعام، فبعث إلىٰ صديق له، فاقترض منه شيئًا من دقيق، فعرف أهله شدة حاجته، فخبزوه عاجلًا، فلما وضع بين يديه قال: كيف خبزتم هذا بسرعة؟ قالوا: كان تنور صالح مسجورًا فخبزناه عاجلًا، فقال: ارفعوه، ولم يأكل منه شيئًا(١).

وفي «السيرة» (ص: ١٠٦) لصالح: جعل يقول: والله لقد تمنيت الموت في الأمر الذي كان(٢)، وإني لأتمنىٰ الموت في هذا، وذاك أنَّ هذا فتنة الدنيا، وكان ذاك فتنة الدين، ثم جعل يضم أصابع يده، ويقول: لو كانت نفسي في يدي لأرسلتها، ثم يفتح أصابعه، وكان المتوكل يوجه إليه في كل وقت يسأل عن حاله، وكان في خلال ذلك يؤمر لنا بالمال، فيقول: يوصل إليهم ولا يعلم شيخهم، فيغتم! ما يريد منهم، إن كان هؤلاء يريدون الدنيا فما يمنعهم؟

وقيل للمتوكل: إنه كان لا يأكل من طعامك ولا يجلس علىٰ فرشك، ويحرم الذي تشرب، فقال لهم: لو نشر لي المعتصم [وقال لي فيه شيئًا](٣) لم أقبل منه.

وفي «المناقب» (٥١٧) عن أحمد بن محمد بن مسروق، قال: قال لي عبد الله بن أحمد بن حنبل: دخل علي أبي رحمه الله في مرضي يعودني، فقلت: يا أبةِ، عندنا شيءٌ قد بقيٰ مما كان يبرنا به المتوكل، أفأحج منه؟

---

(١) ينظر: «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٥/ ٩٦)، «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٤).

(٢) يريد: محنة القول بخلق القرآن.

(٣) زيادة من «المناقب» (٤٩٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال: نعم.

قلت: فإذا كان هذا عندك هكذا فلم لم تأخذ؟

قال: يا بني، ليس هو عندي بحرام، ولكني تنزَّهت عنه.

وقال حنبل بن إسحاق رحمه الله **في «ذكر المحنة»**: لما كان بعد أيام من هذه الفتنة التي رفع علىٰ أبي عبد الله في ذكر العلوي(١)، بينا نحن جلوس بباب الدار وقت انتصاف النهار، إذا يعقوب -المعروف بقوصرة، وكان أحد حجاب المتوكل- قد أقبل، فاستأذن علىٰ أبي عبد الله، فدخل ودخل أبي وأنا معه، ومع بعض غلمانه بدرة(٢) علىٰ بغل، فدخل إلىٰ أبي عبد الله ومعه كتاب المتوكل، فقرأه علىٰ أبي عبد الله: إنه صح عند أمير المؤمنين براءتك مما رفع عليك عند أمير المؤمنين، وقد وجه إليك هذا المال لتستعين به علىٰ حاجتك.

فأبىٰ أبو عبد الله أن يقبله، **وقال:** مالي إليه حاجة، وكلام نحو هذا.

فقال له يعقوب: يا أبا عبد الله، اقبل من أمير المؤمنين ما أمرك به، فإن هذا أخير لك عنده.

وقال له أبي: يا أبا عبد الله، افعل ولا ترده، فإنك إن رددته خفت أن يظن بك الرجل سوءًا، فاقبله، واصرفه فيما أحببت.

فحينئذ قبلها، فلما خرج يعقوب، **قال لي أبو عبد الله:** يا أبا علي!

---

(١) وذلك أن ابن الثلجي أشاع إلىٰ أمير المؤمنين المتوكل أن أحمد يعد علويًّا للمبايعة بالإمارة، فلما تبين للمتوكل أن ذلك كذب عظم من شأن أحمد رحمه الله.

(٢) كيس يوضع فيه مقدار معين من المال، ويستعمل غالبًا في العطايا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قلت: لبيك.

قال: ارفع هذه الإجانة، وكانت في هذه الدار إجانة موضوعة، فرفعتها.

فقال: ضعها تحتها، فوضعتها تحتها.

وخرجنا من عند أبي عبد الله، وترك المال تحت الإجانة بقية يومه وليلته.

فلما كان من الليل، إذا أم ولد لأبي عبد الله تدق علينا الحائط الذي بيننا وبينه، **فقلت لها:** مالَكِ؟

فقالت: مولاي يدعو عمه.

فأعلمت أبي، فخرجنا جميعًا، فدخلنا عليه، وذلك في جوف الليل.

فقال: يا عم، **ما أخذني النوم هذه الليلة!**

فقال له أبي: ولم؟

قال: لهذا المال الذي عندي.

وجعل يتوجَّعُ لأخذه، وجعل أبي يسكنه ويكلمه ويسهل عليه، **وقال له:** حتىٰ تصبح وترىٰ فيه رأيك، فإن هذا ليل، والناس في منازلهم، فإذا أصبحت -إن شاء الله- نظرت ما تصنع، فأمسك وخرجنا.

فلما كان في السحر، وجه إلىٰ عبدوس بن مالك، وحسن بن البزاز فحضرا، وحضر جماعةٌ فيهم هارون الجمال، وأحمد بن منيع، وابن الدورقي وغيرهم، وحضرت أنا وأبي وصالح وعبد الله ومن حضر، فجعلنا نكتب من يذكرونه من أهل الستر والصلاح ببغداد والكوفة وغيرهما، ووجه منها إلىٰ سعيد الأشج، وإلىٰ أبي كريب، وإلىٰ من ذكر من أهل العلم وأهل الستر، ممن يعلم أنه محتاج،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ففرقها كلها ما بين الخمسين إلىٰ المائة والمائتين، فما بقي في الكيس درهم واحد، ثم أمر بالكيس فتصدق به علىٰ مسكين(١).

وقال حنبل: أخبرني أبي - يعنىٰ إسحاق عم أحمد - قال: لما وصلنا العسكر أنزلنا السلطان دارًا لإيتاخ(٢)، ولم يعلم أبو عبد الله، فسأل بعد ذلك: لمن هذه الدار؟

فقالوا: هذه دار لإيتاخ.

فقال: حولوني، واكتروا لىٰ دارًا.

قالوا: هذه دارٌ أنزلكها أميرُ المؤمنين.

فقال: لا أبيت هاهنا.

فاكترينا له دارًا غيرها، وتحول عنها، وكانت تأتينا في كل يوم مائدةٌ أمر بها المتوكل، فيها ألوان الطعام والفاكهة والثلج وغير ذلك، فما نظر إليها أبو عبد الله، ولا ذاق منها شيئًا، وكانت نفقة المائدة في كل يوم مائة وعشرين درهمًا، فما نظر إليها أبو عبد الله.

ودامت العلة بأبي عبد الله، وضعف ضعفًا شديدًا، وكان يواصل، **فمكث ثمانية أيام مواصلًا لا يأكل ولا يشرب**، فلما كان في اليوم الثامن كاد أن يطفأ، فقلت: يا أبا عبد الله، ابن الزبير كان يواصل سبعة أيام، وهذا لك اليوم ثمانية أيام، فقال: إني مطيق، قلت: بحقي عليك، فقال: فإني أفعل، فأتيته بسويق فشرب.

---

(١) «ذكر المحنة» (٩١ - ١٠١).

(٢) **ينظر في ترجمته:** «تاريخ الإسلام» (٥/ ٧٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأجرىٰ المتوكل علىٰ ولده وأهله أربعة آلاف درهم في كل شهر، فبعث إليه أبو عبد الله: إنهم في كفاية، فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، ما لك ولهذا؟ فقال له أحمد: **يا عم، ما بقي من أعمارنا؟ كأنك بالأمر قد نزل، فالله الله، فإن أولادنا إنما يريدون يتأكلون بنا، وإنما هي أيام قلائل، لو كُشفَ للعبد عما قد حُجبَ عنه لعرف ما هو عليه من خير أو شر، صبر قليل، وثواب طويل، إنما هذه فتنة.**

فلما طالت علةُ أحمد كان المتوكل يبعث بابن ماسويه المتطبب(١)، فيصف له الأدوية، فلا يتعالج، فدخل ابن ماسويه علىٰ المتوكل، فقال له المتوكل: ويحك، ابن حنبل، ما نجح فيه الدواء؟ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن أحمد بن حنبل ليست به علة في بدنه، إنما هذا من قلة الطعام وكثرة الصيام والعبادة. فسكت المتوكل.

ولما توفي أحمد وجه ابن طاهر الأكفان، فردت عليه.

وقال عمُّ أحمد للرسول: قل له: أحمد لم يدع غلامي يروحه، يعني: خشية أن أكون اشتريته من مال السلطان، فكيف نكفنه بمالك(٢).

وقال المروذي في «أخبار الشيوخ»: وقال لي أبو عبد الله: قد جاء يحيىٰ بن خاقان ومعه شُوَي(٣)، فجعل يقلله أبو عبد الله ويقلله، قلت له: قالوا إنها ألف

---

(١) **ينظر:** «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (ص: ٣٤٦).

(٢) «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلىٰ (١/ ١١ - ١٢).

(٣) تصغير: (الشيء)، **ينظر:** «لسان العرب» (١/ ١٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دينار، قال: هكذا قال، وقال: فرددتها عليه، فبلغ الباب، ثم رجع، فقال: إن جاءك أحدٌ من أصحابك بشيءٍ تقبله؟، قلت: لا، قال: إنما أريد أن أخبر الخليفة بهذا.

قلت لأبي عبد الله: أي شيء كان عليك لو أخذتها فقسمتها؟، فكلح وجهه، **وقال:** إذا أنا قسمتها، أيُّ شيءٍ كنت أريد؟ أن أكون له قِهرَمَانا(١).

قلت: فتأمل ما بلغه أحمد رحمه الله تعالىٰ من عفة النفس، والاستغناء بالله ﷻ.

فرحم الله أحمد، وغفر الله لأحمد، وجمعنا الله بأحمد، في جنة الخلد، مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه.

---

(١) «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» (١٣٤)، والقِهرَمَان: «هو المسيطر الحفيظ علىٰ من تحت يديه»، **ينظر:** «لسان العرب» (١٢/ ٤٩٦)، مادة: (قهم).